تحدٍّ للمؤمنين الرافعين لذواتهم الذين كانوا يفسِدون انسجام الكنيسة

يعقوب ١:٣–١٢:٤

أولاً: مقدّمة

حين نصل إلى يعقوب ١:٣، فإنه من الواضح أننا نأتي إلى قسم رئيسي في الرسالة. في الأصحاح الثاني، عبَّر يعقوب عن همه بأن يمارس المؤمنون إيمانهم بعمل أعمال رحمة صالحة، وخاصة مع الأقل حظاً (وقد كان هذا الهم قد بدأ في يعقوب ١:١٩–٢٧). ولكن بدءاً من ١:٣، يهاجم يعقوب خطية إساءة استخدام اللسان.

وهنا يبرز سؤالان: (١) هل نقاش يعقوب بشأن إساءة استخدام اللسان موضوع عام، أم أنه أمر مرتبط بمشكلة محدَّدة في تلك الجماعة من المؤمنين كان يعرف عنها؟ (٢) كيف ترتبط هذه الفقرة عن اللسان في ١:٣–١٢ مع بقية الفقرات؟ بكلمات أخرى، هل تنتمي فقرة يعقوب ١:٣–١٢ إلى وحدة أكبر في السفر، وإن كان الأمر كذلك، فما هو الارتباط الفكري الموجود؟

سأسعى لتوضيح أن التعليم عن اللسان في ١:٣–١٢ ليس تعليماً عاماً عن الطريقة الصحيحة للكلام. فقد كان يعقوب يسعى لمعالجة مشكلة محدَّدة كان تحدث بين هؤلاء المؤمنين، وهذا الموضوع مرتبط بالفقرات التالية التي تتعلق بالحكمة والنزاعات والتوبة. كما سأسعى لإظهار أن ١:٣–١٢:٤ قسمٌ واحدٌ له موضوع واهتمام مشتركان. فقد كان اهتمامه هو بمعالجة الخطية الموجودة في الكنيسة والتي كانت تهدِّد بإتلاف انسجام وحدتهم معاً.

ثانياً: دليل على وحدة ١:٣–١٢:٤

أ. لاحظ أن هذا القسم يبدأ ويختم بموضوع إساءة استخدام اللسان: ١:٣–١٢ و١١:٤–١٢. وفي كل قسم، يُذكَر الكلام الذي يُستخدَم ضد الآخرين (أي كلام النقد والشتم). ونلاحظ في ٩:٣ موضوع "الرجل الذي يلعن،" بينما لدينا في ١١:٤ موضوع مشابه هو موضوع "التكلم ضد أخ" أو "ذمه".

ب. لاحظ موضوع الكبرياء الموجود في كل هذه الفقرات:

١, ٥:٣: "يفتخر معظِّماً (أي بأمورٍ عظيمة)"

٢, ١٤:٣: "لا تفتخروا (لا تكونوا متعجرفين متكبِّرين)" (كما أنه يذكر "التحزب"، الذي يعني "الطموح الذاتي")

٣, ٦:٤: "يقاوِم الله المُستكبِرين" (لاحظ دعوات يعقوب إلى التواضع في ٦:٤ و١٠:٤)

٤, ١١:٤: خطية صيرورتهم ديَّانين للناموس تعكس صفة الكبرياء (شعروا أنهم فوق الناموس)

ج. لاحظ أن فكرة "الدينونة" في ١:٣ يعاد الحديث عنها في التذكير بأنه الرب ديان في ١٢:٤.

ثالثاً: تحديد أجزاء القسم ٣:١–٤:١٢

أقسام ٣:١–٤:١٢

تحذيرٌ من خطر اللسان	نوعان من الحكمة يؤديان إلى نتائج مختلفة المقابَلة بين التواضع والكبرياء	مصدر النزاعات فيما بينهم: الرغبات الخاطئة	دعوة للتواضع والتوبة المقابلة بين التواضع والكبرياء	الخلاصة: التوقف عن الحديث الناقد اللاذع بعضهم إلى بعض
٣:١–١٢	٣:١٣–١٨	٤:١–٥	٤:٦–١٠	٤:١١–١٢

رابعاً: ملاحظات عامة

أ. علينا أولاً أن نلاحظ أن الفقرات والمقاطع مرتبطة بشكلٍ وثيق معاً:

١. تكمن وراء إساءة استخدام اللسان في ٣:١–١٢ (الافتخار وشتم ولعن الناس) الحكمة الأرضية التي تتصف بالحسد والطموح الأناني (٣:١٣–١٨). أي أن الفقرة الثانية تشرح العقلية الكامنة وراء إساءة استخدام اللسان.

٢. هناك عدة نقاط ارتباط بين ٣:١٣–١٨ و٤:١–٥، وتقسيم الأصحاحات عند الآية ٤:١ يجب ألا يُرى كنقطة انتقال كبيرة بين المواضيع. (١) موضوع "الغيرة/الحسد" (ζηλος) في ٣:١٦ يظهر ثانية في كلمة "تحسدون" (ζηλουτε) في العدد ٤:٢. (٢) يُقابَل التشديد على "صنع السلام" في ٣:١٨ مع فكرة الخصومات والنزاعات في ٤:١ (لاحظ فكرة "التشويش" في ٣:١٦). (٣) فكرة "الحكمة الأرضية" في ٣:١٥ تظهر في توبيخهم على "محبة (وصداقة) العالم" في ٤:٤. (٤) دوافع القلب الأنانية المذكورة في ٣:١٤ يُنظَر إليها ثانيةً بصفتها "دوافع خاطئة" في ٤:٣.

٣, ٤:١–٥ مع ٤:٦–١٠

١. تُقابَل فكرة الطلب وعدم النوال في ٤:٣ مع فكرة إعطاء الرب "نعمة أعظم" في ٤:٦. (٢) الشهوة الداخلية والدوافع الخاطئة في ٤:١–٣ تجدان علاجهما في الدعوة إلى "تطهير القلب" في ٤:٨.

٤, ١٢-١١:٤

كما ذُكِر سابقاً، فإن ١١:٤-١٢ تتكلَّم ثانية عن موضوع الإساءة في الكلام المذكور في ١:٣-١٢، بالإضافة إلى تحذيرٍ يتعلق بالدينونة. وذكر "الكبرياء" في ٦:٤ يُقابَل ثانيةً بفكرة الذين بكبرياء وغطرسةٍ يجعلون أنفسهم قضاة للناموس في ١١:٤.

ب. التصريح الأول: "لا تكونوا مُعلّمين كثيرين"

قد تكون ردة فعلنا الأولية تجاه هذا الكلام هو أن نفكر بأن كل ما يفعله يعقوب هو تحذير المسيحيين المؤمنين من أن يصبحوا معلّمين. لكن تفاصيل هذه الفقرات تقترح أن المقصود أكثر من هذا. من الواضح أن اهتمامه كان موجَّهاً إلى أفرادٍ معيَّنين كانوا يسعون للرفع من أنفسهم بأن يصيروا مُعلّمين في تلك الجماعة، ولكنهم في الحقيقة كانوا مدفوعين في هذا الأمر بطموحاتٍ أنانية. لقد كانوا يسعوا للبروز بروح الغيرة والطموح المتكبّر؛ ولذا فقد كانوا يسبّبون نزاعاتٍ عظيمة في الكنيسة.

١. يذكر يعقوب في الفقرة الأولى الأساليب الخاطئة في حديثهم. فقد كانوا يفتخرون بأمورٍ عظيمة (٥:٣)، وكانوا "يلعنون الناس" (٩:٣). ولذا فقد كانوا يرفعون أنفسهم، وفي ذات الوقت يتكلَّمون بالشر عن الآخرين.

٢. في الفقرة الثانية، نلاحظ أنهم لم يكونوا مدفوعين بـ"وداعة الحكمة" (أي التواضع)، لكن بالحسد المُر والتحزب والطموحات الأنانية.

٣. دفعهم حسدهم للآخرين (٢:٤) إلى أن يحاربوا ويخاصموا ليحصلوا على ما كانوا يريدونه (أي مراكز الرفعة الروحية).

٤. لاحظ أن ١٠:٤ تنتهي بوعدٍ بأنهم إن تواضعوا أمام الرب، فإنه سيرفعهم فعلاً. ليسوا مضطرين لرفع أنفسهم حتى يعترف بهم الآخرون بصفتهم "معلّمين" (السلطة الروحية). عليهم أن يتركوا الرب ليرفعهم إلى مثل هذا الدور والمكانة.

الخلاصة:

يجب النظر إلى كل المادة في ١:٣-١٢:٤ كوحدة واحدة لها موضوعٌ مشترَك. كان بعض الناس في جماعة المؤمنين يسعون بسبب كبريائهم ودوافعهم الخاطئة إلى الترويج لأنفسهم بأنهم "معلّمون". وقد أدى هذا إلى لجوئهم إلى الكلام المُسيء، منتقدين وذامين الآخرين حتى يبدوا هم أفضل من هؤلاء وليحصلوا على ما يريدون. ولهذا كانت هناك خصومات ونزاعات. ومع هذا فالله لا يُكرِم هؤلاء الذين "يريدون" أن يكونوا مُعلّمين بسبب الكبرياء والحكمة العالمية التي كانت تدفعهم لعمل ذلك. وقد دعاهم يعقوب إلى توبةٍ شاملةٍ كاملة.

خامساً: تحذير من خطر اللسان (٣:١-١٢)

أ. تحذير للذين كانوا يشتهون أن يصيروا "معلّمين" (٣:١-٢)

١. "علاقة موضوع "المُعلّمين" بالسياق: الذين يعلّمون بشكلٍ منتظم يستخدمون ألسنتهم، وهو أمرٌ من الصعب أن تحول دون ارتكابه للخطأ.

٢. توضيح: مع أن كل المؤمنين يستطيعون أن يخطئوا بألسنتهم، لكن هذا القسم يخاطب بشكلٍ أساسي الذين يرغبون بشكلٍ غير مناسب وسليم أن يصيروا معلمين. كان هؤلاء المعلّمون (الذين عيَّنوا أنفسهم في هذا العمل) "يفتخرون" و"يلعنون" الآخرين، وبالتالي فقد كانوا يؤذون جسد المسيح. كانوا يعتبرون أنفسهم "روحيين"، ولكنهم لم يكونوا كذلك (١:٢٦).

٣. "دينونة أعظم (أشد)" – لا شك أن يعقوب يفكّر هنا بدينونة كرسي المسيح التي ذكرها في يعقوب ٢:١٢-١٣. يذكّرهم يعقوب بالمسؤولية التي تصاحب الامتياز (لوقا ١٢:٤٨؛ ٢تيموثاوس ١:١٤).

٤. اللسان المضبوط هو علامة وصفة للرجل "الكامل" – تذكر استخدام هذه الكلمة في ١:٤. هذا يشير إلى نضوجٍ روحي هائل نتيجةً للتعاون مع الله في عملية التقديس والخضوع للتدريب الإلهي (المِحَن والتجارب!)

ملاحظة: تنبّهنا النقاط الثلاثة التالية لضرورة أن يكون المعلمون الروحيون الحقيقيون مؤمنين ناضجين يخضعون للرب:

ب. قوة اللسان الهائلة (٣:٣-٦)

ج. صعوبة السيطرة على السان (٣:٧-٨)

د. شر وعدم ثبات طبيعة اللسان حين لا يكون تحت سيطرة الله (٣:٩-١٢)

سادساً: نوعان من الحكمة لهما نتائج متغايرة (٣:١٣-١٨)

ترتبط هذه الفقرة بشكلٍ قوي بالفقرة السابقة. ففي ضوء قوة وصعوبة استخدام اللسان، لا يجب أن يكون في مراكز التعليم الروحي إلا المؤمنون الناضجون. ولهذا يسأل يعقوب: "مَن هو حكيمٌ وعالمٌ بينكم؟" فهناك الذين يرفعون أنفسهم ليكونوا أصحاب سلطة روحية، ولكنهم في الحقيقة مدفوعين بحكمة زائفة. فيقوم يعقوب بكلِّ حرصٍ على التمييز بين الحكمة الحقيقية والحكمة المُزَيَّفة، إذ تؤدي الحكمة المُزَيَّفة إلى التشويش، بينما تؤدي الحكمة الحقيقية إلى السلام في الجسد.

أ. السلوك الجيد ينتج عن الحكمة الصحيحة المتواضعة (٣:١٣)

من الطبيعي ضرورة وجود "حكمة" عند المعلّم. ولكن يعقوب يسعى للإشارة إلى أن هناك نوعين من الحكمة. وربما يقصد بتعبير "وداعة الحكمة" التواضع، إذ أنه لاحقاً في ٤:٦ وصف التواضع بأنه الهدف الحقيقي الذي يجب السعي له.

ب. الحكمة الزائفة التي من تحت تؤدي إلى التشويش والشر (٣:١٤-١٦)

ينبّهنا ذكر "الافتخار" (أي الكبرياء والعجرفة) في ٣:١٤ إلى أن الكبرياء هي المذنب الجوهري الكامن وراء كل الذين يعملون بدافع الحسد والطموحات الأنانية. فيقترح يعقوب بأن الذين كانوا يطمحون بأن يصيروا مُعلّمين كانوا يحسدون الآخرين ولديهم طموحات أنانية، ولم يكونوا يأتون إلى الكنيسة إلا بالتشويش (وهو ما يتوسَّع في شرحه في ٤:١-٣).

ج. الحكمة الحقيقية التي مِن فوق تؤدي إلى صُنْع السلام (٣:١٧-١٨)

لاحظ "الطبيعة الأخلاقية المسيحية" التي ترافق حكمة الله. إنها تذكرنا بيعقوب ٤:١. إنها أولاً "طاهرة"، وهي كلمة تشير إلى كون الشيء أو الشخص "غير ملومٍ أخلاقياً". الذين يتدربون وينضجون في بر الله يصبحون صانعي سلام في جسد المسيح.

سابعاً: مصدر النزاعات والصراعات بينكم: الرغبات الخاطئة (٤:١-٥)

لأن البعض سعوا لجعل أنفسهم أصحاب "سلطة روحية" في الكنيسة بواسطة الحكمة التي من تحت، ظهرت الصراعات والنزاعات في الكنيسة. والآن يواجه يعقوب الخطية وجهاً لوجه.

أ. تحديد طبيعة المحاربة والصراع في جسد المسيح (٤:١-٣)

١. يعرِّف يعقوب مصدر المشكلة بأنه "لذاتهم" (في اليونانية ἡδονη). تعني هذه الكلمة "رغبات". والكلمة "يشتهي" في العدد ٢ شبيهة بها. فيمكن للكلمة ἐπιθυμεω أن تعني "يشتهي" أو "يرغب ب". لا تعني هذه الكلمة بالضرورة شهوة الأشياء المادية أو الشهوة الجنسية، فيمكن أن تُستخدَم بمعنى الرغبة بالحصول على مراكز سلطة روحية. والنقاط التالية تدعم هذه الفكرة:

أ. السياق العام المتعلق برغبتهم بأن يصيروا مُعلّمين وبطموحهم الأناني

ب. مفتاح من ٤:٢ب -"تحسدون"(ζηλουτε). لاحظ أن الاسم المُشتق من هذا الفعل (ζηλος) قد ورد في ٣:١٦.

ج. تُركّز الدعوة للتوبة في القسم التالي على "الكبرياء".

٢. لا يتعلق الطلب وعدم النوال بأشياء، ولكنه يتعلق بالسلطة الروحية

إن الأسلوب الصحيح للوجود في مركز سلطة روحية هو بالطلب من الله بدافعٍ سليم وبتواضع. لم يكن الله يعطيهم سلطة روحية بسبب دوافعهم الخاطئة.

ب. توبيخ الذين كانوا في عداوة نحو الله (٤:٤-٥)

١. لا يقصد بالإشارة إليهم بأنهم "زناة وزواني" في ٤:٤ أن يقول بأنهم لم يكونوا مؤمنين، فهذا تعبير مُستخدَم في العهد القديم للإشارة إلى الذين لم يكونوا أمناء لله.

٢. تذكر "محبة (الصداقة مع) العالم" بالحكمة الأرضية في ١٥:٣. كانوا يختارون اتّباع روح العالم بدلاً من طريق الرب.

٣. ينطوي العدد الخامس على مشكلة حقيقية لسببين: (١) هذا العدد هو أصعب عدد في الرسالة من ناحية الترجمة، (٢) كما أننا لا نستطيع أن نحدّد نص "الكتاب" (أي المقطع الكتابي في العهد القديم) الذي يشير إليه.

أ. ترجمات محتملة:

(سيتم تزويدها لاحقاً)

ب. تعليقات حول الترجمة:

بالنظر إلى النص اليوناني، لا يمكننا أن نعرف الفاعل المقصود للفعل، أو إن كان تعبير "الروح" (πνευμα) يشير إلى الروح القدس أو الروح البشرية. يمكن لهذه العبارة أن تعني "الروح (البشرية) تحسد،" أو "الروح (القدس) يرغب بغيرةٍ" أو "يريد (الله) الروح" (أي أن نحيا لإرضاء الروح لا أن نكون محبين وأصدقاء لهذا العالم). كلا الترجمتين الأخيرتين تشيران إلى أن الله يرغب بحماسٍ وغيرة بولائنا (بعكس ما يفعله الزناة والزواني).

ج. ما "الكتاب" (النص الكتابي) الذي يشير إليه؟

الجزء الأخير من العدد الخامس ليس اقتباساً من العهد القديم. حلان مُحتَملان: (١) كان يعقوب يفكر بالاقتباس الذي سيورِده في العدد ٦؛ أو (٢) أنه لم يكن يقصد مقطعاً كتابياً محدَّداً، ولكنه كان يقصد "موضوعاً كتابياً". الحل الثاني ممكن جداً إن ترجمنا العدد بالإشارة إلى غيرة الله؛ فهناك أعداد كثيرة في العهد القديم تشير إلى الله بصفته "الإله الغيور" (خروج ٥:٢٠؛ ١٤:٣٤؛ زكريا ٢:٨). بل إنه يقول بأنَّ اسمه "غيور". حين يحيد الشعب في ولائهم عن الرب، فإن الله يكون غيوراً عن حق.

ثامناً: دعوة للتواضع والتوبة (٦:٤-١٠)

أ. المبدأ الكتابي في الرفع الروحي (٦:٤)

بشكلٍ أساسي، الذين كانوا يطمحون بشكلٍ غير صحيح ليكونوا "معلمين"، كانت الكبرياء حافزهم في ذلك. ويقتبس الكاتب من أمثال ٣٤:٣ (من الترجمة السبعينية) ليعلّمَهم عن المبادئ التي يعمل الله بها. الله مستعد أن يعطي المتواضع، ولكنه سيقاوم ويحبِط مساعي المتكبّرين. يفسّر هذا عدم نوالهم ما كانوا يطلبونه في ٣:٤.

ب. دعوة إلى التوبة (٤:٧–١٠)

١. لاحظ التوازي بين هذا الجزء وبطرس الأولى ٥:١–١٠. في ذلك السياق، قيل للشباب بأن يتواضعوا وينتظروا أن يرفعهم الله في الوقت المناسب. في ذلك السياق، كان ذلك الرفع إلى مراكز السلطة الروحية (شيوخ!).

٢. "قاوموا إبليس" – أي قاوموا تجاربه التي تحاول دفعكم للكبرياء (تذكر الحكمة الشيطانية المذكورة في ٣:١٥).

٣. العدد ٨ – كانوا يحتاجون استعادة القُرب إلى الله برفض الخطية والتخلص من الدوافع الشريرة العاملة فيهم.

٤. "اكتئبوا" – ليس هذا معيار الحياة المسيحية، ولكنه وصف للتوبة التي كان يحتاجها الذين كانت الكبرياء تسيطر عليهم.

٥. العدد ١٠ – إن تواضعوا فعلاً، فإنه سيكون هناك رجاء بأن يرفعهم الله في النهاية ليكونوا في مراكز سلطة روحية في الكنيسة (قارن مع ١بطرس ٥:٦، في الوقت المناسب).

تاسعاً: الخلاصة: يجب توقف الحديث الناقد الذي فيه دينونة (٤:١١–١٢)

بعد الدعوة للتوبة التي ترد في ٤:٦–١٠، يكرِر يعقوب الاهتمام الرئيسي الذي كان لديه؛ إذ عليهم أن يتوقفوا عن الكلام المُسيء. واستخدام التعبير "إخوة" يؤكد على حقيقة أن القسم السابق في الرسالة ليس دعوة للخلاص لغير المؤمنين. الوصية الأساسية في العدد ١١ ("لا يذم بعضكم بعضاً") تأتي باستخدام الفعل καταλαλειτε، وهو مضارع أمر من الفعل καταλαλεω. والفعل الأمر المضارع مع أداة نفي (μη) يشير إلى أمر بالتوقف عن عمل شيء يقوم به الشخص في الوقت الحالي. ولذا فإن العدد ١١ ليس مجرَّد نهي، فهو دعوة للتوقف عن الخطية التي كانت في الحقيقة تحدث. ومعنى "إدانة الناموس" هو أن يعطي المرء نفسه عذراً لعدم إطاعة الكلمة (تذكر لاويين ١٩:١٦–١٨).